المشاركة

الملتقى الدولي الأول

المسرح والثورة ـ المسرح وحركات التحرر في العالم ـ

اسم و لقب الباحث الأول: روباش إيمان

مؤسسة الانتماء : جامعة محمد بوضياف مسيلة

التخصص : دراسات أدبية ،النص السردي المغاربي

الدرجة العلمية : أستاذ محاضر ب

البريد الالكتروني : imane.roubache@univ-msila.dz

الهاتف النقال : 0675699253

محور المداخلة : المحور الثاني : خطاب الهوية والانتماء في المسرح الجزائري

عنوان المداخلة : خطاب الوعي وإثبات الهوية في النص المسرحي الجزائري لأحمد رضا حوحو

مقدمة :

في ظل ظروف استعمارية فرضت فيها فرنسا الخناق على الشعب الجزائري سياسيا واجتماعيا وفي ظل ظروف متأزمه ...تشكل المخاض الاول للمسرح الجزائري ليشق طريقا موغلا ويقدم الفن معبأ ومبطنا برسائل تؤكد أصالة الشعب الجزائري وايمانه بقضيته وبحقه في الاستقلال ليسير جنبا إلى جنب في إثبات الهوية والأصالة التي طالما تشربها الجزائري منذ طفولته لتغدو حقيقة ومطلبا للمسرحي الواعي والفنان المبدع ، ورغم مضايقات الاحتلال ومحاولات فرض الرقابة على العروض المسرحية في ربوع الوطن إلا أنه تشكل واستمر رافعا لواء

الـــوعي بحـــق تقريـــر المصـــير مســـتلهما تراثنـــا الزاخـــر بأمجـــاد الأمـــة العربيـــة الإســـلامية، وقـــد جســـد هـــذا المشـــروع ثلـــة مـــن المثقفـــين والفنـــانين والـــذين أرادوا النهـــوض بـــالوطن وتوعيـــة الشـــعب الجزائـــري مـــن خـــلال طـــرق ووســـائل متعـــددة ، تـــؤثر فـــي المتلقـــي وتشـــحن همتـــه وتـــوقظ وعيـــه بشـــكل يمتـــزج فيـــه الفـــن بـــالفكر الراقـــي والمســـتنير، فكيـــف تمظهـــر خطـــاب الـــوعي وإثبـــات الهويـــة فـــي الـــنص المسرحي لحوحو، وأين تتجلى عناصر الهوية في مسرحياته ؟

أحمـــد رضـــا حوحـــو[1] شـــهيد القلـــم ، أحـــد أبـــرز رواد المســـرح الجزائـــري ، اتخـــذ مـــن الفـــن والمســـرح وســـيلة لإثبـــات هويـــة الشـــعب الجزائـــري ، وآداة قويـــة لشـــحن الهمـــم واســـتلهام بطـــولات وأمجـــاد العـــرب ، ممـــا ســـاهم فـــي زيـــادة الـــوعي بـــين الجمـــاهير فـــي قضـــيتهم الوطنيـــة ، حيـــث اســـتطاع مـــن خـــلال أعمالـــه أن يبـــرز معانـــاة الشـــعب الجزائـــري ، فـــي ظـــل الاســـتعمار، فكانـــت العديـــد مـــن أعمالـــه المســـرحية وســـيلة لنشـــر الـــوعي و للنضـــال والحريـــة ، والحـــق فـــي تقرير المصير.

ســـاهم حوحـــو بشـــكل كبيـــر ـــ فـــي حقبـــة زمنيـــة صـــعبة ، مـــن تـــاريخ الجزائـــر ـ مـــن تشـــكيل الهويـــة الوطنيـــة والثقافيـــة للـــبلاد ، مـــن خـــلال أعمالـــه المســـرحية ، يتمحـــور خطـــاب الـــوعي فـــي نصوصـــه حـــول قضـــايا الهويـــة الوطنيـــة النضـــال ضد المستعمر ، وتعبير عن الثقافة الجزائرية وواقعها .

وقـــد كـــان حوحـــو أبـــرز أســـاتذة جمعيـــة المســـلمين الجزائـــريين أســـتاذا بمعهـــد عبـــد الحميـــد بـــن بـــاديس الصـــرح الثقـــافي الـــذي كـــان لـــه الأثـــر البـــارز فـــي التـــاريخ الـــوطني الإصـــلاحي للجزائـــر ، وكـــان محـــررا بالجرائـــد التابعـــة للجمعيـــة " فســـعى مـــن خـــلال منـــابر الجمعيـــة إلـــى التعبيـــر عـــن همـــوم الـــوطن والمـــواطن ، و فظاعـــة الاســـتعمار ، وأثـــار بأدبـــه جملـــة مـــن الإشـــكالات التـــي يعانيهـــا وطنـــه ، فلجـــأ إلـــى تجســـيد الواقـــع والتعبيـــر عنـــه ، كجـــزء مـــن عمليـــة

[1] ° أحمد رضا حوحو : أديب يجيد الفرنسية ، من الشهداء ولد في قرية سيدي عقبة

،قرب بسكرة وسافر إلى المدينة المنورة (1934 م)، فكان مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية فيها ، وسكرتيرا لمجلة ((المنهل)) إبان نشأتها ، ثم عين 1361ه) مترجما بمديرية البرق والبريد العامة ، وعاد إلى الجزائر حوالي سنة (1946) ، وعهين أستاذا في معهد ابن باديس ، وعمل بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأصدر جريدة الشعلة ، وقام برحلات إلى البلاد الاشتراكية، وفي أثناء الثورة بالجزائر قبض عليه ، وقتله الفرنسيون في محنة رهيبة ، فكان من أوائل الكتاب الشهداء الذين قدمتهم الجزائر على مذبح الحرية والكرامة والاستقلال ، من آثاره ((غادة أم القرى)) طبع ، و((صاحب الوحي ،وقصص أخرى)) طبع ، ((أدباء المظهر)) ، ((نماذج بشرية)) ، ((في الأدب والاجتماع))، ((عشر سنوات في الحجاز))و، ((مع حمار الحكيم)) طبع في قسنطينة سنة 1953/ "" عادل النويهض :معجم أعلام الجزائر ، من عصر صدر الإسلام إلى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ، لبنان ،1980 ، ط2 ، ص 129 ,

النضـــال الفكـــري التـــي يمارســـها "[2]، فكـــرس قلمـــه وحياتـــه لإثبـــات هويـــة وأصـــاله شـــعبه مـــن خـــلال الأعمـــال المســـرحية المتنوعـــة وكـــذا القصـــة والمقالـــة الأدبيـــة , أجـــاد احمـــد رضـــا حوحـــو الـــتهكم والســـخرية بطريقـــة أدبيـــة بديعـــة ، جيـــدة الأثـــر ، ومـــن حواراتـــه تلـــك حـــواره مـــع حمـــاره الحكـــيم ، و هـــو يســـأله عن الدين الأسلامي

قائلا على لسان الحمار : لنتكلم إذن عن الدين

قلت : دين من ؟

قال : الدين الإسلامي

قلت : أعلم ذلك ، لكن دين الحكومة أم دين الشعب ، الدين الرسمي أم الدين الحر

قال: عجبا ، وهل لكم أديان عديدة ؟

قلت : دينان فقط ، دين رسمي تشرف عليه الحكومة ويحرسه رجالها من موظفي المسجد والطرق ، ودين حر يعتقده الشعب و يتزعمه رجال الإصلاح فيه"[3]

قـــدم حوحـــو صـــورة حيـــة بليغـــة عـــن ســـطوة وظلـــم الاســـتعمار وتدخلـــه فـــي الشـــؤون الدينيـــة للشـــعب الجزائـــري ، والـــدين الإســـلامي أحـــد ركـــائز الهويـــة والأصـــالة التـــي ضـــحى مـــن أجلهـــا قـــادة الأمـــة وأبطالهـــا علـــى مـــر التـــاريخ ، والملاحـــظ أن حوحـــو تفـــنن وأبـــدع فـــي نقـــل معانـــاة الجزائـــريين بطريقـــة فنيـــة جمالية تهكمية ساخرة ما يدل على ذكائه وموهبته الفذة ,

قـــد عـــد أديبنـــا أحـــد الأقـــلام الشـــامخة بنضـــالها المدويـــة بصـــوتها الـــرافض للواضـــع المنـــاهض للظلـــم والجبـــروت الـــذي مارســـته فرنســـا فـــي الجزائـــر " عرفـــت الجزائـــر (حوحـــو) رائـــدا فـــي نهضـــتها الأدبيـــة الحديثـــة فـــي القصـــة والمســـرح ، وودعتـــه شـــهيدا فـــي غمـــرة المليـــون ونصـــف مليـــون شـــهيد ، مـــن الشـــهداء فـــي ثورتهـــا الخالـــدة ، وفـــي موكـــب شـــهداء(الضـــاد) ،فـــي ثـــورة الإســـلام والعروبـــة فـــي الجزائـــر[4]المعاصـــرة ، وكـــان (حوحـــو) رائـــدا حتـــى فـــي استشـــهاده" ، وقـــد خلـــد اســـمه بأعمـــال تتدارســـها الأجيـــال جـــيلا بعـــد جيـــل ،

---

[2] يمينة قرفي : فاعلية الخطاب في أعمال رضا حوحو ،بين هواجس الفن ومقومات الإصلاح مجلة منتدى الأستاذ ،المدرسة العليا للأساتذة ، قسنطينة م19 ،ع1 ، ديسمبر 2023 ص438 ,

[3] أحمد رضا حوحو : مع حمار الحكيم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص15 ، 16

[4] صالح الخرفي : أحمد رضا حوحو ، شهيد الثورة الجزائرية ،في الحجاز 1934–1945 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان ،1992، ط1 ، ص09

مرصعة بحلى ودرر الحرية والنضال ، العزة والكرامة في وجه كل متجبر وطاغية ,

ـ نشأة المسرح الجزائري مرتبطا بقضايا أمته وشعبه (الهوية):

ارتبطت نشأة المسرح الجزائري في مطلع القرن العشرين بالتعبير عن قضايا المجتمع المختلفة ، إما بطريقة هزلية كوميديا ساخرة ، وقد استحسنها الجمهور ولقيت قبولا وتأثيرا ،لما تحمله من رسائل وشحونات مبطنة ، عن وضع الجزائري المتأزم ، وما يعانيه من ظلم وقهر وبؤس ، وإما مسرحيات هادفة اجتماعية ، تتناول حق التعليم وحقوق المرأة ، وحقوق الأسرة ، الفقر ، الظلم وغيرها من الموضوعات,,""وقد عرضت العشرات من المسرحيات في المسارح المتواجدة في بعض المدن في ذلك الوقت ، تطرح موضوعات اجتماعية ، لاقت نجاحا منقطع النظير زواج بوبورم ،

الله يسترنا ، بوه على حسان ، بابا الشيخ ,,,""[5] وغيرها .

وقد اعتبر حوحو المسرح وسيلة تربوية وتعليمية هامة ، تعدل السلوك وتقومه ، وقد راى أن المسرح "" يهدف بالدرجة الأولى إلى تقويم سلوك الأفراد ومحاربة الآفات الاجتماعية "[6] ، كما عرف المسرح الجزائري مع رضا حوحو قفزة نوعية بتأليفه الكثير من المسرحيات باللغة الفصحى والعامية أيضا فساهم بحق في النهوض بالمسرح الجزائري في وقت حساس،

وقدم أعمالا جليلة في مجال الأدب والفن حيث أسهم بأعمال كثيرة "فقدم إلى الإذاعة والأدب المسرحي عدة روايات فكاهية بالفصحى والعامية مقتبسة أو موضوعة وجميعها كانت تقدم إلى الجمهور في أسلوب ساخر ونقد لاذع لأوضاعنا السياسية والاجتماعية خدم المسرح بتشجيعه للممثلين ونقده لما تقدمه بعض الفرق المسرحية من أعمال أدبية كما فعل حين قدم رواية "الصحراء"[7] ومما قدمه حوحو للمسرح الجزائري إنشاء فرقة المزهر القسنطيني تأسست عام 1948 على يد الدكتور بن دالي محمد وأحمد رضا حوحو والذي كان رحمه الله مديرها الفني .....المسرح

---

[5] عبد النور بليصق ، جماليات التلقي في المسرح الجزائري الحديث ، مسرح عبد القادر علولة أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ،علوم ،إشراف بلخير عقاي ، جامعة محمد بزضياف ، المسيلة ، ص15

[6] https://www.alquds.co.uk/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%BR قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو إبراهيم صحراوي

[7] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ط 7، ص90

كان يقوم به الأديب أحمد رضا حوحو الذي اقتبس العديد من المسرحيات منها عنبسة ، بائعة الورد التي تمثل كفاح ليبيا من أجل الاستقلال ، العقاب (بالفصحى) ثم النائب المحترم وسي عاشور (بالعامية) و من مسرحياته أيضا صنيعة البرامكة ،ابن رشد، أبو الحسن التميمي ، الوهم ،أدباء المظهر[8] .

ألف أحمد لرضا حوحو مسرحيات بالعامية والفصحى تناول في بعضها معاناة الشعب الجزائري ، والظلم والفقر الذي يعيشه والأوضاع المزرية في مختلف شؤون الحياة ، وسخر قلمه كذلك لخدمة القضية الوطنية ,

ـ المسرح كوسيلة للوعي والمقاومة :

استخدم أحمد رضا حوحو المسرح كوسيلة للتعبير عن الهوية الجزائرية ووسيلة لمقاومة الاستعمار ، حيث تناول موضوعات المقاومة والصراع الثقافي والحضاري ، واستعاد أمجاد وتراث الأمة العربية ، مما ساهم في ايقاظ وزيادة الوعي بين الجماهير ، حول قفضيتهم المصيرية ، ونقل في العديد من مسرحياته معاناة الشعب الجزائري ، تحت وطأة الاستعمار ، فعبأ الجماهير وشحن هممهم للنضال من أجل الحرية ، وقد كانت ردود فعل الاستعمار قوية تجاه مسرح أحمد رضا حوحو ، فقد زجت به في السجن وهددته بالإعدام ، واعتبرت أعماله تهديدا للنظام القائم ، وهذا ما يؤكد تأثير المسرح في تحفيز وتحقيق الوعي الثوري ،

وقبل تناول نماذج لنصوص تدعو إلى المقاومة والحرية ، نشير إلى أن حوحو عمد إلى إحياء التراث الثقافي الجزائري من خلال دمج العناصر التقليدية في نصوصه المسرحية .

كما تناول القضايا الاجتماعية البارزة مثل الفقر ، الظلم ، التمييز ,,وقد استخدم حوحو مجموعة من التقنيات الدرامية لتقرير خطاب الوعي ، فاعتمد على الحوار الدرامي ، لنقل الأفكار والمشاعر ، مما ساهم في بناء شخصيات معقدة ، تعكس التوجهات التي تحددها مما اضاف عمقا للنصوص ، وفتح المجال لتفسيرات متعددة "ونص أحمد رضا حوحو يصور لنا تلك الحياة الواقعية الجزائرية بأفراحها ومآسيها ، ويرصد بذلك أهم تحولاتها في بنيتها التحتية ، خاصة أنها تحدد نوعا من أهم المعالم

[8] أنظر : المرجع نفسه ، ص 86 ،87.

للطبقة الاجتماعية ، التي تسعى نحو السلطة وفرض السيطرة التعسفية"[9] ، حيث تعكس واقع ومعاناة الجزائريين في ظل الظروف المتأزمة ، التي فرض فيها المستعمر الخناق وتحالف حزب من الأرذال معه ,

قدم حوحو مسرحيات تجسد وتعكس للشعب الجزائري روح المقاومة على غرار ((ملكة غرناطة)) ومسرحية ((البخيل)) ، التي تناولت مواضيع تتعلق بالصراع الحضاري والثقافي والحرية ، والكرامة الإنسانية التي فقدها الفرد الجزائري ، ومن خلال صراع الشخصيات الدرامية ، تبرز أهمية الحق في تقرير المصير والحرية ، وتبرز القيم الإنسانية واضحة ، فتشحن همم المتلقي ، وتساهم في تشكيل جزء كبير من وعيه ، مارس عليه العدوان أبشع صور التنزيف والسيطرة .

يستند النص المسرحي "" ملكة غرناطة "" لمسرحية "روي بلاس " لفكتور هيجو ، حيث تعتبر عملا تاريخيا يتناول الصراع بين الثقافات في فترة الأندلس ، فتعكس محاولات الشخصيات في الحفاظ على هويتها الثقافية في ظل الضغوط الخارجية ، ويتجلى النضال من خلال الأفعال والتضحيات التي يقوم بها الأبطال ، مما يبرز أهمية الذاكرة التاريخية والانتماء ، ويتجلى البعد السياسي والوطني ، من خلال تصوير الظلم الذي تعرض له الشعب الجزائري ، في ظل الاحتلال ، مما يعكس رؤية حوحو النضالية ، وتمسكه بالارادة والمقاومة التي تصنع المستحيل

استمد رضا حوحو من التراث التاريخي مادة دسمة غذت عددا من مسرحياته ، " وقد تبنى أغلب كتاب جمعية المسلمين الجزائريين ، سياسة ى

الدفاع عن الهوية الوطنية ، سياستهم في ذلك توظيف التاريخ , شخصياته وأحداثه ، قصد استلهام العبر من الماضي ، وشحن همم النشء بأمجاد السلف " [10]، وقد كان حوحو من أبرز رجال الجمعية الذين استمدوا من التراث مادة تغذي وتطعم النصوص المسرحية ، وتبرز جمالية الفن المسرحي الفنية وطاقته في التأثير في نفوس الأجيال ، وقد كانت أغلب المسرحيات التاريخية ذات نزعة تحريضية ، حيث "نهض الفن المسرحي في الجزائر ، بدور نضالي فعال ضد الاستعمار، وملتزما بالقضايا الوطنية ، ومتصديا ، ,,,متخذا من الكلمة وسيلة لنشر الوعي السياسي بين

[9] نسيبة طيهار ، نور الدين سيليني: الأدوار التيماتية في النص المسرحي الجزائري ، مسرحية البخيل لأحمد رضا حوحو ، مجلة اللغة العربية ، م 22،ع 50 ، 2020 ، ص 86 ,

[10] نادية موات : النص المسرحي الجزائري ، محاضرات وتطبيقات ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2017،2018 ، ص 75

بين أفراد الشعب الجزائري ، متقنعا بالتاريخ تارة ،والنقد الساخر تارة أخرى "[11].

وعلى غرار العديد من مسرحيات رضا حوحو يمكن اعتبار "ملكة غرناطة " تجسيدا لأفكار حوحو التحررية ، حيث يبرز من خلال الصراع بين الشخصيات ، الرغبة في التحرر من قيود الاحتلال ، والبحث عن الهوية ، فالنص المسرحي دعوة للتغيير والمقاومة ،واسترجاع الحرية والاستقلال .

وقد استطاع أحمد رضا حوحو من خلال هذه المسرحية ايصال افكاره ومشروعه النضالي للشعب الجزائري، نقد شحن هممهم وأيقظ ضمائرهم من سبات طال أمده فكان كالغيث الذي أصاب أرضا ملأ الجفاف أركانها.

يبرز كذلك النص المسرحي الموسوم بالبخيل ، حيث يكشف اللثام عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الجزائري مستخدما الكوميديا كوسيلة لنقد العادات والتقاليد السلبية ، تساهم بشكل واضح في توعية الجمهور ، من أجل المحافظة على كرامته الإنسانية ، تبرز في هذه المسرحية شخصية (سي شعبان) كشخصية انتهازية متسلطة ،دكتاتورية ، حتى أثناء اختيار الزوجة لابنه يرى أحقيته في المرأة " اسمع يا بني لازم تنسى هذا البنت وتنح من قلبك هذا الحب لأن هذا البنت عاد نتزوجها أنا ، أما انت فإن المرأة الهجالة الغنية اللي قتلك عليها راها تستنى فيك

، وكن مستعد باه تتزوجها [12]...وبعد أن يرفض الابن ، يطلب الأب المتسلط الكرفاش على حد قوله ليؤدبه .

.يصور لنا النص المسرحي التسلط بأعلى مستوياته والعنف النفسي والجسدي ، بطريقة ساخرة تهكمية ، وقد راى رضا حوحو أن المسرح "" يهدف بالدرجة الأولى إلى تقويم سلوك الأفراد ومحاربة الآفات الاجتماعية "[13] ، ونشر الوعي والقيم الإنسانية النبيلة ، والمحافظة على الكرامة

---

[11] المرجع نفسه ، ص 77 ، 78 ,

[12] نسيبة طيهار ، المرجع نفسه ، ص 96

[13] https://www.alquds.co.uk/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D8%BR قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو إبراهيم صحراوي

مسرحيات أحمد رضا حوحو لم تكن مجرد ترفيه وتسليه ، بل كانت أدوات فعالة للتعبير عن الهموم الوطنية والاجتماعية ، مما جعلها جزءا لا يتجزأ من النضال الثقافي والسياسي في الجزائر.

جسد أحمد رضا حوحو من خلال نصوصه المسرحية وأعماله الأدبية صورة حية للمناضل المكافح بالقلم ، متصديا لجبروت الاحتلال بكل عنفوانه ، حيث لعبت أعماله المسرحية دورا محوريا في تعزيز الهوية الوطنية ، والوعي ضد الاستعمار من خلال استخدام الفن كوسيلة للتعبير عن معاناة الشعب الجزائري ، ورغبته في التحرر، وقد ساهم في تشكيل الذاكرة الجماعية للجزائريين وتعزيز روح المقاومة .